في هذه الأثناء، كانت حامية إيلياء تصد المسلمين عن أسوارها، وكان القتال يستعر حول المدينة المقدسة بينما كان المسلمون والروم يحتشدون للقتال في أجنادين.

وكانت معركة أجنادين عنيفة، إذ يقول الطبري فيها «اقتتلوا ـ أي المسلمون والروم ـ قتالاً شديداً كقتال اليرموك، حتى كثرت القتلى بينهم»[18]، فقد نازل «أرطبون العرب» أرطبون الروم في أجنادين فهزمه، وأرتدّ أرطبون الروم وجنده ليحتموا بأسوار المدينة المقدسة «فأفرج له المسلمون حتى دخلها»[19].

ويذكر الطبري أن كلاً من «علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب» التحقوا بعمرو في أجنادين[20]، وسار عمرو بجيشه جميعاً نحو إيلياء لمحاصرتها. إلا أننا نشك في أن يكون الأمر قد تم على هذا النحو، إذ ليس منطقياً أن يتخلى علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو عن مواقعهم حول إيلياء ليلتحقوا بعمرو الذي هو متوجه إليها، وإن كان ممكناً أن يتخلى أبو أيوب المالكي عن مواقعه حول الرملة ليلتحق بعمرو في إيلياء.

ب ـ الحصار:

اجتمع المسلمون، بقيادة عمرو بن العاص، حول إيلياء، وضرب عمرو على المدينة حصاراً شديداً، وكانت المدينة حصينة ومنيعة. ويصف الواقدي أسوار المدينة بأنها كانت محصنة «بالمجانيق والطوارق والسيوف والدرق والجواشن والزرد الفاخرة»[21]، ويذكر أن القتال بدأ بعد ثلاثة أيام من الحصار، حيث تقدم المسلمون نحو أسوار المدينة فأمطرتهم حاميتها بوابل من السهام والنبال التي كان المسلمون يتلقونها «بدرقهم». وكان القتال يمتد من الصباح إلى غروب الشمس،

---

(18) م. ن. ج 3: 606.

(19) م. ن. ص. ن.

(20) م. ن. ص. ن.

(21) الواقدي، فتوح الشام، ج 1: 214، والطوارق: تروس كان يستخدمها الروم والفرنجة، تستر الفارس والراجل (الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 12)، والجواشن: دروع من صفائح الحديد أو الجلد أو الزرد (م. ن. ص 14)، والدرق: التروس من الجلد.